# حديث الأنبياء (٤)

## النبي الكريم صالح

## عليه السلام

اسم الكتاب: النبي الكريم صالح عليه السلام.

اسم المؤلف: إبراهيم أحمد قشطة.

الطبعة الثانية: ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٢م.

# النبي الكريم صالح عليه السلام

أ/ إبراهيم أحمد قشطة

رفح – فلسطين

١٤٤٤هـ – ٢٠٢٢م

الطبعة الثانية

طبعة مزيدة ومنقحة

# الإهداء

إلى والدي – قدّس اللهُ روحَه – الذي علمني أنَّ الرجال يصنعهم العرق.

إلى والدتي – رزقها اللهُ حسنَ الخاتمة – التي علمتني أنَّ الكلمة الطيبة شجرة وارفة يستظلّ تحتها الناس من قيظ الحياة.

إلى شيوخي وأساتذتي الذين علموني أنَّ الإسلام دين عظيم لو أن له رجال.

إلى زوجتي التي علمتني أنَّ مَنْ لا يحبّ صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر.

إلى أُختيّ اللتين تعلمت منهما أنَّ الأخوة مشاعر جميلة حميدة.

إلى أبنائي أحمد وتسنيم ولمى ومحمّد الذين علموني أنَّ الأبوة أحلى المعاني.

# المحتويات

## المقدّمة

إنَّ الحمد الله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمّدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

أمّا بعد:

فإنَّ أصدق الحَديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، أعاذنا الله من البدع والضلالات والنيران.

وبعد:

هذا الكتاب الرابع من (سلسلة حديث الأنبياء) والموسوم باسم (النبي الكريم صالح عليه السلام)، ويقصُّ هذا الكتاب سيرة النبي الكريم صالح مع قومه ثمود اللئام، الذين جاءوا بعد عاد الأولى، وما اعتبروا بما حلَّ بعاد من العذاب والنكال، فدعاهم ونصحهم، لكنهم كانوا لا

يحبون الناصحين، فكان مآلهم كأسلافهم حلول الهلاك المبين، وقد وقع هذا الكتاب في فصلين:

حيث جاء الفصل الأوّل (قصّة صالح عليه السلام) يتحدث عن: ثمود ومساكنهم، والنعم التي توافرت عليهم، ودعوة صالح لهم، وكيف قابلوا دعوة صالح الكريمة بالغلطة والتسفيه والإهانة، كما وبيّن الفصل آية صالح البيّنة، وهي ناقة الله المعجزة، وما كان من شأن ثمود معها، وخُتِمَ الفصل بذِكْر كيف أهلك الله تعالى ثمود فما أبقى.

وأمّا الفصل الثاني (الفوائد المستفادة من قصّة صالح) ذكر أهمَّ الثمار المستطابة من قصّة صالح عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

## الفصل الأوّل

# قصّة صالح عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ٤٥﴾ (النمل: ٤٥)

## قصّة صالح – عليه السلام –

### ◎ تمهيد:

ذُكرت قصّة صالح في أكثر من موضع في القرآن الكريم، حيث ذكرت في: الأعراف، وهود، والحجر، والإسراء، وغيرها.

قال هراس: " وتجيء قصّة صالح في الترتيب القرآني عقيب قصّة هود في جميع المواضع التي ذكرت فيها القصّتان، ففي سورة الأعراف جاءت القصص على هذا الترتيب: نوح ثم هود ثم صالح." (محمّد هراس)

وقد جاء على لسان صالح – عليه السلام – هذا الترتيب صراحة حيث قال لقومه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا﴾ (الأعراف: ٧٤)

ممّا يدلُّ على أن هذين النبيّين الكريمين (هود وصالح) كانا متقاربين في الزمان، وأنَّ قوم صالح كانوا على علم بما جرى لأسلافهم عاد من العذاب والنكال.

فما الذي جرى بين صالح وقومه؟! هذا ما سنعرفه في هذا الفصل الجميل إنْ شاء الله ربّ العالمين!

**◎ قوم صالح عليه السلام:**

قومُ صالح هم ثمود، وثمود قبيلة عربية مشهورة بائدة من بقايا عاد[1]، وكانوا يسكنون الحِجر؛ لذا سماهم الله في كتابه العزيز أصحاب الحِجر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠﴾ (الحِجر: ٨٠)

قال الصابوني: " والحِجر (مكان) يقع بين الحجاز والشام، ويمرُّ عليها المسافر بطريق البَرّ، ويعرف الآن (بفجّ الناقة)، وآثار مدائن هؤلاء القوم ظاهرة حتى الآن، وتسمى مدائن صالح."

(محمّد الصابوني)

ويقول المسعودي: " ورممهم باقية، وآثارهم بادية، في طريق مَنْ ورد من الشام، وحِجر ثمود في الجنوب الشرقي من أرض مدين، وهي مصاحبة لخليج العقبة، (أي أنها قريبة من خليج العقبة)."

(محمّد الصابوني)

---

(١) يطلق على ثمود عاد الثانية؛ لأنَّها من بقايا ذرّيّة عاد.

وقد مرَّ بهذا المكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو ذاهبٌ إلى غزوة تبوك بمن معه من المسلمين، **فعن ابن عمر قال: لمّا نزل رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بالناس عامَ تبوك، نزل بهم الحِجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناسُ من الآبار التي كانت يشربُ منها ثمود، فعجنوا منها، ونصبوا القدورَ باللحم، فأمرهم رسول الله فَأَهْرَقوا القدور، وعلفوا العجينَ للإبلِ، ثم ارتحلَ بهم حتّى نزل بهم على البئر التي كانت تشربُ منها الناقةُ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذبوا، فقال: إني أخشى أنْ يصيَبكم مثلُ ما أصابَهم، فلا تدخلوا عليهم."** (رواه أحمد: ٥٨٢٩)

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بالحِجر: " **لا تدخُلوا على هؤلاءِ المعذبين إلّا أنْ تكونوا باكين، فإنْ لم تكونوا باكين فلا تدخُلوا عليهم، أنْ يصيَبكم مثلُ ما أصابَهم.**"

(رواه البخاري: (٤٠٧٢))

**تصحيح:** قال الصابوني: " يرى بعض المؤرخين من المستشرقين: أن ثمود قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية، ولم يدخلوا فلسطين، وهذا الرأي باطلٌ؛ لأنّ اليهود لم يعرفوا إلّا بعد خروج موسى – عليه السلام – ببني إسرائيل من أرض مصر، فكيف يكونون يهودًا؟ وأصحُّ الأقوال:

أنهم كانوا عربًا من بقايا عاد، ويؤيد هذا الرأي قول الله تعالى على لسان نبيّه الكريم صالح عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأعراف: ٧٤)"
(محمّد الصابوني)

**◘ نِعَمُ الله تعالى على ثمود:**

أنعم الله على ثمود بنعم عظيمة، وعطايات كثيرة، قال تعالى: ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨﴾ (الشعراء: ١٤٦ – ١٤٨) أي: " أيترككم في هذه الدنيا آمنين، مخلدين في النعيم، كأنكم باقون في الدنيا بلا موت؟ في بساتين وأنهار جاريات وسهول فسيحة فيها أنواع الزروع والنخيل الرطب اللين ذات الطلع اليانع النضيج." (محمّد الصابوني)

وأنعم الله تعالى عليهم بنعمة أخرى بأن أرشدهم إلى نحت الجبال بيوتًا فارهة؛ لتحميهم من حرّ الصيف وقيظه، ومن برد الشتاء وصقيعه، قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ

ٱلۡجِبَالَ بُيُوتًاۖ﴾ (الأعراف: ٧٤) وقال تعالى: ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾[1] (الشعراء: ١٤٩)

**الحاصل:** كانت نعم ثمود نعمًا عظيمة، من حدائق وبساتين، وأنهار وعيون، وثمار وزروع، وماشية وبهائم، وقصور وحصون**!!**

**ما بين نعم عاد وثمود:**

وازن الرازي بين نعم عاد وثمود، فقال:

" الغالب على قوم هود هو اللذات الخياليّة، وهي الاستعلاء، والبقاء، والتجبر. والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسيّة، وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة." (محمّد الصابوني)

## ○ بعثة صالح عليه السلام:

أعطيت ثمود هذه النعم العظيمة، ومنحت هذه الجوائز السنيّة الكريمة، فما شكروها حقّ شكرها، بل قابلوها بكفرها، والسير على درب من سبقهم من الأمم الكفرة الظلمة.

فكفرت ثمود بربّها، واتّخذت من دونه أندادًا وأصْنامًا، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحًا نبيًّا ورسولًا، يعرفون نسبه، وفضله، وأمانته، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾ (الأعراف: ٧٣)

---

(١) المقصود بـ (فارهين): أي أشرين بطرين من غير حاجة لسكناها، أو حاذقين ماهرين في بنائها.

## ◎ دعوة صالح لقومه:

بعث الله صالحًا نبيًّا ورسولًا لثمود، وقد اجتهد – عليه السلام – في دعوة قومه إلى الله تعالى اجتهادًا عظيمًا، حيث لم يدع مناسبة إلّا وقال لهم فيها: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ٦١﴾ (هود: ٦١)

ولم تكن دعوة صالح دعوة عادية، إنما كانت دعوة ذكيّة بديعة، تفنّن صالح فيها أيما تفنّن، حيث إنه قد سلك معهم فيها طرائق قددًا، متلطفًا مرة، حيث قال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ (هود: ٦١) أي: " هو تعالى ابتدأ خلقكم من الأرض، فخلق آدم من تراب ثم ذرّيّته من نطفة، واستعمركم فيها أي جعلكم عمّارها وسكانها تسكنون بها."

(محمّد الصابوني)

ومذكرًا أخرى بنعم الله عليهم؛ ليستثير فيهم تقوى الله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٧٤) أي: اذكروا إذ جعلكم خلفاء في الأرض من بعد أن أهلك عادًا، وأسكنكم أرض

الحِجر تبنون في سهولها القصور الفارهة، وتنحتون من جبالها البيوت المنيعة، فهلا ذكرتم نعم الله تعالى عليكم، وقمتم بحقّ شكرها بأن تصلحوا في الأرض ولا تعثوا فيها مفسدين.

ثم سلك معهم مسلك التحذير حيث قال: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾[1] (الشعراء: ١٤٦ – ١٥٢)

ولمّا كان من المتوقع أن تظنَّ ثمود بعقلها المادي أن صالحًا ربما يسعى من وراء دعوته هذه تحصيل مكاسب دنيويّة، فقال صالح لهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ (الشعراء: ١٤٥) أي: إن دعوتي خالصة من أطماع الدنيا من مال أو

(١) قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي: لا تطيعوا أمر كبرائكم المجرمين.

رياسة أو غيرها، وإنما هي دعوة خالصة مخلصة لا أرجو من وراءها أجرًا ولا شكورًا.[1]

### ◎ موقف ثمود السيّئ من دعوة صالح عليه السلام:

على الرغم من إخلاص صالح في دعوة قومه إلى الله تعالى، واجتهاده في ذلك اجتهادًا عظيمًا، إلّا أن ثمود اشمأزت قلوبها من دعوته، ونفرت واستكبرت، ثم استهزأت وسخرت، فرموه أوّلًا بالسفه والجنون، حيث قالوا له: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾[2] (هود: ٦٢) أي: قد كنا نرجو أن يكون عقلك كاملًا قبل هذه المقولة، وهي دعاؤك إيانا إلى إفراد الله بالعبادة، وترك ما كنا نعبد من الأصنام، والعدول عن دين الآباء والأجداد، ولهذا قالوا بعد ذلك: ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢﴾ (هود: ٦٢)

---

(١) أغلب الأنبياء كانوا يدفعون عن أنفسهم هذه التهمة؛ لأنّ النفوس مفطورة على الشكّ والريبة في كل مَنْ يتحصل على مكاسب ماديّة دنيويّة من وراء دعوته.

(٢) تأمّل هذه الآية الكريمة ﴿قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾ (هود: ٦٢) ألا تلحظ في هذا القول من عاد أمرًا عجيبًا؟! إذ إنهم اعترفوا بأن صالحًا صاحب عقل كامل، ومع ذلك ردّوا دعوته، وقابلوها بالكفر والعناد!

ثم اتّهموه ثانيًا بأنه مغلوب على عقله بالسحر، حيث قالوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٣) أي: من المغلوبين عليه بالسحر، لا تدري ما تقول في دعوتك إيانا بإفراد العبادة لله!!

ثم اتّهموه بأنه كاذبٌ، بل تجاور حدَّ الكذب في دعواه النبوّة: ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ (القمر: ٢٥)

قال الرازي: " وفي (هذه) الآية إشارة إلى ما كانوا ينكرونه بطريقة المبالغة؛ وذلك لأنّ الإلقاء إنزال بسرعة، فكأنهم قالوا: الملك جسيم والسماء بعيدة، فكيف ينزل عليه الوحي في لحظة؟ وقولهم: ﴿عَلَيۡهِ﴾ إنكار آخر كأنهم قالوا: ما ألقي عليه ذكرًا أصلًا، وعلى فرض نزوله فلِمَ يكون عليه من بيننا، وفينا من هو فوقه في الشرف والذكاء؟ وقولهم: ﴿أَءُلۡقِيَ﴾ بدلًا من قولهم: (أألقى الله) إشارة إلى أن الإلقاء من السماء غير ممكّن فضلًا عن أن يكون من الله." (محمّد الصابوني)

وأخيرًا وليس بآخر أثاروا شبهة واهية ألا هي أنه بشرٌ مثلهم، وقد يكون أقلّهم، فقالوا: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ (الشعراء: ١٥٤)

وقالوا: ﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾ (القمر: ٢٤) أي: " لا نتّبع بشرًا منا واحدًا لمجرد ادّعائه بأنه رسول من ربّه، إننا إذا اتّبعناه كنا إذًا في ضلال في مسيرتنا وجنون في عقولنا." (عبد الرحمن حبنكة: ١٩٩٣)

هذا بعض ممّا قابلت به ثمود دعوة نبيّهم صالح، وإن بحثت عن سبب ذلك، تجده بسبب سجاياهم الخربة المجبولة على الكفر والعناد، تجدها بسبب نفوسهم المريضة التي ما فتئت اِسْتمرأ حبّ الدنيا وشهواتها، تجدها بسبب فكرهم الأرستقراطي المتكبر المتعجرف الذي جعلهم يتّبعون الأسلاف وإن كانوا على ضلال وإسفاف.

ولم يكتفِ أهل ثمود بذلك وحسب، بل شككوا أتّباع صالح المؤمنين المستضعفين في صدق صالح، حيث قال ملؤهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الأعراف: ٧٥) أي: قال أشراف القوم المستكبرين الأشرين للمستضعفين من أتّباع صالح: أصالحٌ صادقٌ أم كاذبٌ؟! سألوا ذلك على قصد السخرية والتهكم!!

فأجابهم المؤمنون المستضعفون: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٧٥)

قال أبو حيان: " وعدولهم عن قولهم (هو مرسلٌ) إلى قولهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ في غاية الحسن، فإن أمر رسالته معلومٌ واضحٌ مسلمٌ، لا يدخله ريب لِما أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم، فلا يحتاج أن يُسأل عن رسالته." (محمّد الصابوني)

عندما سمع هؤلاء الملأ الكافرون هذه المقولة من المستضعفين اشتدّ بهم الغضب، فصرحوا بالكفر قائلين: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾ (الأعراف: ٧٦)

**قال الصابوني:** " ولم يقولوا: إنا بما أُرسل به كافرون إظهارًا لمخالفتهم إياهم وردًّا لمقالتهم." (محمّد الصابوني)

## ◉ آية صالح:

من أقوال ثمود المتعنتة لنبيّهم صالح، طلبهم منه أن يأتيهم بمعجزة تدلُّ على صدقه: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾ (الشعراء: ١٥٤)

فأجاب صالح طلبهم رغبة منه في إيمانهم، وكان ذلك بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يؤمنوا به إن جاءهم بما طالبوه، فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم.

وجاءتهم الآية!! ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ (هود: ٦٤) أي: هذه الناقة معجزتي إليكم، فكانت آيته ناقة عظيمة لا يشبهها شيء من النوق في ذاتها ولا شرفها ولا نفعها، فكانت معجزة باهرة، ونعمة عظيم للقبيلة بأسرها!!

**وتأمّل:** أضف صالح الناقة إلى الله تعالى، وهذا من باب تشريفها وتعظيمها، كقول: بيت الله وعبد الله، ومن جهة ثانية: لئلا يمسّوها بسوء.

**الحاصل:** كانت معجزة صالح الباهرة ناقة عظيمة نافعة![1]

**ولعلك تتساءل: لَمِ كانت معجزته ناقة بالذات؟**

ربما لأنّ ثمود كانت تعنى بشأن الإبل، والله أعلم.

**على كل حال:** كانت آية صالح ناقة، ويبدو أن صالح قد استشعر قلق قومه على مائهم من هذه الناقة؛ وذلك لأنَّ ثمود كانت تسكن في مكان هي في أمسّ الحاجة فيه إلى الماء، حيث إنهم كانوا – كما مرَّ معنا – أصحاب زروع وبساتين وماشية؛ لذا قسّم صالحٌ ماء بئرهم بينهم وبين الناقة إلى يومين: يوم لثمود يشربون منه، ويسقون زروعهم، وبهائمهم، واليوم الثاني للناقة، وفي يوم الناقة ترد القبيلة كلها على ضرعها يشربون لبنها ويملؤون أوعيتهم منه، وبذلك بدد صالح مخاوفهم على مائهم، ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ١٥٥﴾ (الشعراء: ١٥٥)

---

(١) " قال البربهاري: لكل نبي حوض إلّا صالح النبي – عليه السلام – فإن حوضه ضرع ناقته، قال محمّد القحطاني: لم أجد دليلًا على هذه المسألة." (محمّد القحطاني: ١٤٠٦)

وحذّرهم تحذيرًا مبطنًا ألّا يمسّوها بسوء، فقال لهم: ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ (هود: ٦٤) أي: على الله رزقها، ولكم نفعها.

ثم حذّرهم تحذيرًا صريحًا فقال لهم: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾ (هود: ٦٤) أي: " لا تنالونها بأي ضرر بالذبح أو بالضرب، فيصيبكم عذاب من الله هائل لا يكاد أن يوصف." (محمّد الصابوني)

**وتأمّل – وفقك الله للحقّ –**: عمد صالح – عليه السلام – إلى التصريح الصريح ولم يكتفِ بالتصريح الضمني؛ لأنّ مثل هذه الأمور لا بدّ فيها من التحذير الصريح خاصّة إذا ظهرت بوادر المُحذّر منه.

**تصحيح مهم:**

ذكر بعض المفسرين: " أن ثمود طلبوا من صالح – عليه السلام – أن يخرج لهم ناقة حاملًا من صخرة صماء قد حدّدوها له سلفًا، وأن تلد هذه الناقة أمامهم، ويكون من أوصافها كذا وكذا حتى يؤمنوا له، فقعد صالح – عليه السلام – يتفكر فجاءه جبريل، فقال صلّ ركعتين وسل ربّك الناقة، ففعل، فخرجت الناقة وولدت أمامهم، وبركت بين أيديهم، فقال لهم: هذه ناقة يا قوم." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وهذا الذي ذكروه لا يوجد عليه دليل شرعي صحيح من القرآن أو السنّة الصحيحة؛ لذا صون كلام الله عنه أصوب!

## ◎ قتل الناقة:

مكثت ثمود على حالهم هذا مع الناقة حينًا من الدهر، ترد الناقة الماء يومًا، وترعى في السهول، وتأكل من ورق الشجر، وثمود تنتفع بلبنها شربًا وريًّا، فلمّا طال عليهم هذا الحال ملّوا من الناقة، وضجروا بها، وهذا من عجيب أمرهم أن يملّوا من الناقة التي كانت تمنحهم اللبن!! ولم تضيق عليهم ماءهم!!

فاجتمع ملؤهم (أي: رؤساؤهم وأشرافهم) وقد كان عددهم تسعة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ (النمل: ٤٨) وكانوا هؤلاء التسعة أشرَّ القوم، فقد كانوا ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝٤٨﴾ (النمل: ٤٨) أي: شأنهم الإفساد في الأرض، والتفنن في إيذاء الخَلق، وهم الذين قاوموا ما جاء به صالح أشدّ المقاومة.

تناقش هؤلاء الملأ الأشرون في أمر الناقة، فحملهم جهلهم وسفههم على أن يقرروا ذبح الناقة؛ ليستريحوا منها بزعمهم الباطل، فيتوفر عليهم ماؤهم!! وما أن انتهى اجتماع هؤلاء الأشرين إلّا وقعت فاجعة عظيمة: وهي ذبح الناقة البريئة!!

ودائمًا يكون أسرع الناس للشرّ أشقاهم، فكان أسرع قبيلة ثمود إلى عقر الناقة أشقاهم، فالذي أقدم على ذلك الفعل الشنيع رئيسهم، قال تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾(1) (الشمس: ١٢)

**فكانت النتيجة:** ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ ٧٧﴾ (الأعراف: ٧٧) وفي هذه الآية إشكال، والإشكال هنا: أنَّ ظاهر الآية يدلّ على نسب عقر الناقة لجميع القبيلة بينما الذي عقرها واحد منهم وهو رئيسهم!

**الجواب:** نسب الله عقر الناقة لجميع القبيلة على الرغم أن الذي عقرها واحد منهم وهو رئيسهم؛ لأنّ فِعْل هذا الشقي تم برضاهم جميعًا، فكأن كل واحد منهم هو الذي ذبحها!!

**الحاصل:** ذبحت ثمود الناقة، وعتت عن أمر ربّها غير مهتمة بالتهديد والوعيد السابق من صالح.

---

(١) أخرج الشيخان عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يخطب، وذكر الناقة، والذي عقر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ (الشمس: ١٢) انبعثَ لها رجلٌ عزيزٌ عارمٌ، مَنيعٌ في رهطه مثلُ أبي زَمْعَةَ.**" (رواه البخاري: (٤٩٤٢)، ومسلم: (٢٨٥٥))

أقبل صالح من بعيد، فرأى المنظر الفظيع الشديد، رأى ناقة الله مدرجة في دمائها، ممزقة الأوداج، مزهقة الروح، وسيف أشقاهم يقطر دمًا، وقلوب القبيلة ترقص حولها فرحًا!!

### ◎ هلاك ثمود:

ما أن رأى صالح ناقة الله مذبوحة حتى علم أن العذاب قد تحتم لا محالة، وأنه نازل بهم بلا مناقشة أو مجادلة، فتوعدهم صالح بالعذاب الأليم، قائلًا: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ (هود: ٦٥) أي: " استمتعوا بالعيش في بلدكم ثلاثة أيام، ثم ستهلكون!"(١) (محمّد الصابوني)

سمعت ثمود وعيدًا جديدًا أكيدًا، **فهل سيخضعون لربّهم؟**

يا للأسف! لم تخضع ثمود لربّها، وما رجعت عن بغيها وغيها، وقالوا متبجحين: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ

---

(١) ذكر ابن كثير: " وأصبحت ثمود في اليوم الأوّل من موعد حلول العذاب وقد اصفرّت وجوههم، ثم أصبحوا في اليوم الثاني وقد احمرّت وجوههم، ثم في اليوم الثالث وقد اسودّت وجوههم، كما أنذرهم صالح." (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وما ذكره ابن كثير – رحمه الله – لا يوجد عليه دليل شرعي في القرآن، ولا في صحيح السنّة؛ لذا صون كلام الله عنه أصوب.

ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (الأعراف: ٧٧) أي: " جئنا يا صالح بما تعدنا من العذاب الذي تخوفنا به إن كنت يا صالح رسولًا حقًّا." (محمّد الصابوني)

ولم يكتفوا بذلك وحسب بل إذ بالتسعة الذين تولّوا قرار ذبح الناقة يتعاقدون، ويتعاهدون، ويحلفون الأيمان المغلظة: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ (النمل: ٤٩) أي: " لنقتلنَّ صالحًا وأهله ليلًا."

(محمّد الصابوني)

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٤٩﴾ (النمل: ٤٩) أي: " ثم نقول لولي الدم ما حضرنا مكان هلاكه، ولا عرفنا قاتله، ولا قاتل أهله، ونحلف على ذلك إنّا لصادقون."

(محمّد الصابوني)

ولمّا كان القانون الإلهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ (الحج: ٣٨)

فدفع الله عن نبيّه صالح أذى هؤلاء الرهط التسعة المجرمين، وانتقم منهم أشدَّ انتقام، فلمّا كمنوا لقتل صالح عالجهم الله بعقوبتهم، فكانوا شرّ سلف مقدّم لقومهم إلى نار جهنم!!

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾ (النمل:٥٠) أي: دبروا مكيدة لقتل صالح، ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (النمل: ٥٠) أي: " جازيناهم على مكرهم بتعجيل هلاكهم، وسماه مكرًا بطريقة المشاكلة (والمشاكلة هي الاتّفاق في اللفظ دون المعنى)."

(محمّد الصابوني)

قال أبو حيان: " مكرهم ما أخفون من تدبير الفتك بصالح وأهله، ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون." (محمّد الصابوني)

فلمّا تمّت مهلة الثلاثة أيام نزل الهلاك بساحتهم، **فما كان هلاكهم؟!**

**كان هلاكهم: صيحة من فوقهم، ورجفة من تحتهم.**

أمّا الصيحة فلم تكن صيحة عادية، بل كانت صيحة مدوِّية هائلة قويّة عمّتهم من فوقهم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ (القمر: ٣١) أي: أرسلنا عليهم صيحة واحدة فجعلهم هشيمًا مفتتًا كيابس أوراق الأشجار إذا بُلِيَ وتحطم وداسته الأقدام.

وقال تعالى أيضًا: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤﴾ (الحجر: ٨٣ – ٨٤) أي: " أخذتهم

صيحة الهلاك حين أصبحوا فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يشيدونه من القلاع والحصون." (محمّد الصابوني)

وأمّا الرجفة فكانت زلزلة عظيمة مدمّرة مهلكة جاءت من أسفلهم: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ (الأعراف: ٩١) أي: " أخذتهم الزلزلة الشديدة، فصاروا في منازلهم هامدين موتى بلا حراك." (محمّد الصابوني)

**وتأمّل:** جعلها الله تعالى هلاكهم بصيحة واحدة وبرجفة مثلها لهوانهم عنده.

ولك أنْ تتخيّلَ مشهد هلاكهم هكذا: صيحة مدوّية عمّتهم من فوقهم، وزلزلة مدمّرة غشيتهم من أسفلهم فاجتمعت عليهم الصيحة والرجفة!!

**فكانت النتيجة:** ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ (الشمس: ١٤) أي: " فأهلكهم الله ودمّرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم، قال الخازن: والدمدمة: هلاك باستئصال، والمعنى: أطبق عليهم العذاب طبقًا، فلم يفلت منهم أحد." (محمّد الصابوني)

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ (الشمس: ١٤) أي: " فسوى بين القبيلة في العقوبة، فلم يفلت منهم أحد، ولا صغير ولا كبير، ولا غني ولا فقير."

(محمّد الصابوني)

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (الشمس: ١٥) أي: " لا يخاف الله تعالى عاقبة إهلاكهم وتدميرهم، كما يخاف الرؤساء والملوك عاقبة ما يفعلون؛ لأنّه تعالى لا يُسأل عما يفعل." (محمّد الصابوني)

كان هلاك ثمود هلاكًا شديدًا، حتى يخيّل لمن رأى مصرعهم أن هؤلاء الهلكى لم يقيموا في نعمة قبل ذلك قطّ! قال تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ (هود: ٦٨)

شاهد صالح مشهد مصرع قومه الذليل، ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ (الأعراف: ٧٩) أي: فأدبر عنهم، ونعاهم إلى أنفسهم قائلًا على سبيل التفجع والتحسر عليهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩) أي: لقد بلّغتكم الرسالة، وحذّرتكم من النهاية، وبالغت في النصيحة، ولكن غلب شأنكم العنيد على بغض الناصحين والعداء للمصلحين، حتى حلّ عليكم العذاب العظيم.

قال الزمخشري: " ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ حكاية حال ماضية قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت، وكان قد نصحه حيًّا، فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة، يا أخي كم نصحتك! وكم قلت لك فلم تقبل مني." (محمّد الصابوني)

ولله درُّك يا صالح رحيمًا مشفقًا!! تفجعت عليهم وهم الذين عاندوك وتنقصوك!!

وهكذا الأنبياء!!

هذه ثمود التي أضافت إلى سجل المشركين من بني آدم صفحة ملطخة بالظلم والوثنيّة، فكان حقًّا على الله إهلاكهم بالطاغية!

o o o o

## الفصل الثاني

## الفوائد المستفادة من قصّة صالح
## - عليه السلام -

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ (يوسف: ١١١)

## الفوائد المستفادة من قصّة صالح
## – عليه السلام –

**تمهيد:**

قصة صالح كغيرها – من قصص الأنبياء والمرسلين – ليست للتسلية أو السمر وإنما لأخذ العبر والعظات، وللاقتداء بهؤلاء الأطهار الأتقياء الأنقياء، والسير على دربهم، فاطلاعنا على سيرهم، وما تحملوه من أذى في سبيل الله تقوية لعزائمنا، وتصحيح لهممنا، وتسلية لنا عما يصيبنا من اللأواء.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ (يوسف: ١١١)

**الفوائد المستفادة من قصّة صالح عليه السلام:**

**١. إمهال لا إهمال:**

الأمم الكافرة الظالمة لا يُعجّلُ الله عقوبتها المستحقّة عليهم، وإنما يمهلهم حتى إذا تفاقمت جرائمهم وبغوا وعتوّا، أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

وبرد سؤال: **لِمَ لَمْ يُهلك الله الأمم الكافرة المتجبّرة في عصرنا الحالي حتى الآن؟**

**قيل:** كان هلاك الأمم الكافرة الظالمة في الزمان الأوّل بعذاب من عند الله، فلمّا نزلت التوراة لم يهلك الله أمّة من الأمم هلاكًا عامًّا إلّا أصحاب السبت، وإنما جعل هلاك الأمم الكافرة الظالمة على أيدي المؤمنين.

**وترد هنا مسألة مهمة، وهي: مسألة استبطأ نصر الله للمؤمنين:**

فقد وردت آيات كثيرة تبشر بنصر الله للمؤمنين، منها: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، وقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧٣)، ونحوها من الآيات.

فلمّا يسمع المؤمن المصدق بالقرآن مثل هذه الآيات، ثم يسقطها على الواقع، تقع الحيرة في قلبه لما يرى من غلبة الكفار والمنافقين، وأن الهزيمة تلحق بالمؤمنين!!

**فيتساءل: فمتى يأتي هذا النصر الإلهي الموعود؟**

قال ابن القيم: " لم يكتب الله الغلبة في الدنيا للكفار والمنافقين دائمًا، ولا للمؤمنين دائمًا، وإنما العبد له من الغلبة على عدوّه بقدر ما معه من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

(المنافقون: ٨) فالعبد له من العزّة بقدر ما معه من الإيمان." (ابن القيم: ٢٠٠٢)

**وتأمّل:** الدفع من الله تعالى عن العبد يكون بحسب إيمانه، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (الحج:٣٨)

وكذلك الكفاية هي بقدر الإيمان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ (الأنفال: ٦٤)

وكذلك معيته الخاصّة هي لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩)، فإن حظّ المؤمن من ولاية الله له يكون بقدر حظّه من الإيمان.

**الحاصل:** الضمان حتى يكون المسلمون أعلين ولعدوّهم قاهرين، هو تحليهم بالإيمان والعمل الصالح.

**لطيفة: ما الفرق بين الإمهال والاستدراج:**

**الإمهال:** هو تأخير الله معالجة القوم الكافرين بالعقوبة التي يستحقّونها، حتى إذا أخذهم الله لم يفلتهم.

**الاستدراج:** هو تأخير وقوع العقوبة المستحقّة على المسلمين القائمين على المعاصي.

فالإمهال يكون للكافرين، والاستدراج يكون للمسلمين العاصين.

## ٢. شؤم العادات السيئة:

العاداتُ ثقيلةٌ ثقل الجبال أو أشدّ، قد شبَّ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير؛ لذا يعدُّ اتّباع عادات من يحسن بهم الظنّ من الآباء أو غيرهم من أكبر موانع الاستجابة للحقّ.

وهذه ثمود كان المانع الأساسي لعدم استجابتهم لدعوة نبيّهم هو اتّباعهم عادة قومهم في عبادة الأصنام، فكان قولهم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ (هود: ٦٢)

وهكذا جميع الأمم المكذبة ردّوا دعوة رسلهم بسبب تقليد أسلافهم، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الزخرف: ٢٢)

## ٣. ما أشبه الليلة بالبارحة!

مقام صالح أمام ثمود الهلكى يذكرنا بمقام رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أمام قتلى قريش يوم بدر، حيث خاطب – صلى الله عليه وسلم – أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال من إلقائهم في بئر بدر، وقف عليهم يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، **فقال: هل وجدتم ما وعدَ ربُّكم حقًّا؟! فإنّي وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا؟!** فقيل له: تدعو أمواتًا؟ **فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون."** (رواه البخاري: ١٣١٥)

## ٤. سماع الأموات لكلام الأحياء:

هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها علماء السنّة على قولين مشهورين:

**القول الأوّل:** وهو قول الجمهور: نفي سماع الأموات لكلام الأحياء؛ ودليلهم: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ (النمل: ٨٠)

**القول الثاني:** هو قول فريق من العلماء: وهو أن الموتى يسمعون في الجملة، وإن كانوا لا يسمعون في كل الأحوال، ودليلهم: مناداته – صلى الله عليه وسلم – لقتلى قريش يوم بدر.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " **إنَّ الميِّتَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ إنَّه ليسمعُ خفقَ نعالِهِم إذا انصرفوا.**" (رواه مسلم: ٢٨٧٠)

**والراجح:** قول الجمهور حيث إنّ الأدلّة من الكتاب والسنّة تؤكد على أن الموتى لا يشعرون بالأحياء، ولا يسمعون كلامهم، في كل الأوقات والأحوال.

وإن ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال كما في الحدثيين السابقين، لا ينبغي أن يجعل ذلك أصلًا فيقال: إن الموتى يسمعون.

ويجاب عن حَديث مخاطبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – قتلى قريش يوم بدر بما قاله قتادة أحد رواه الحديث: " أحياهم الله حتى

أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا." (علي الصلابي: ٢٠٠١)

أو أنه من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

وأمّا حَديث سماع الميت قرع نعال مشيعيه، فإنه استثناء من القاعدة العامّة (إن الميت لا يشعر بالأحياء، ولا يسمع كلامهم)، والله أعلم.

**٥. مُجانبة الكفار:**

ورد أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – مرَّ بديار ثمود، وهو ذاهبٌ إلى تبوك، وأنه نهى عن الشرب من ماء بئرهم، والدخول عليهم، فقال: " **لا تدخُلوا على هؤلاءِ المعذبينَ إلّا أنْ تكونوا باكينَ، فإنْ لم تكونوا باكينَ فلا تدخُلوا عليهم، أنْ يصيَبكم مثلُ ما أصابَهم.**" (رواه البخاري: ٤٠٧٢)

وكأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يرشدنا إلى مُجانبة الكافرين ومفارقتهم، حتى وإنْ كانوا أموات، ومن باب أولى إنْ كانوا أحياء.

وهذا هو المعنى الدقيق للولاء والبراء: فالولاء مولاة المؤمنين، ونصحهم، وحبّهم، وحبّ من يحبّهم، والذود عنهم.

والبراء يكون من الكافرين، بمجانبتهم، وبغضهم، والبعد عن اتّباعهم، والحرص على عدم نشر معتقداتهم الباطلة.

## تتمة فقهية

**حكم زيارة ديار ثمود:**

**زيارة ديار ثمود في الحِجر لها حالتان:**

**الحالة الأولى:** زيارة فيها مصلحة راجحة كالتفكر والاعتبار، أو التوثيق والعلم والتعليم، أو الوعظ والتذكير، وهذا النوع من الزيارة جائز – والله أعلم – بشرط أن يكون السائح أو الزائر لها على حالة من الخشوع والتفكر والاعتبار والبكاء، وليس لمجرد المتعة بمشاهدة المباني والقصور.

**الحالة الثانية:** زيارتها لمجرد التسلية والتعرف، وربّما تعظيم ما كانوا عليه بدون اعتبار ولا تفكر، وهذا بلا شكّ مخالف للحَديث الذي ذكرناه سابقًا، والراجح تُحرم مثل هذه الزيارة، والله أعلم.

o o o o

## خاتمة الكتاب

هلكت عاد الأولى لكفرها، وبقى من نسلها عاد الثانية، وهي ثمود التي كانت تسكن الحِجر.

نهجت ثمود نهج سلفهم، فكفروا بربّهم، بالرغم من النعم المتوافرة عليهم من زروع، وحرث، وماشية، وبنين، وقصور.

فأرسل الله إليهم أخاهم في النسب صالحًا نبيًّا كريمًا، يعرفون نسبَه، وفضله، وأمانته، أرسله إليهم لإفراد الله سبحانه بالتوحيد والعبادة.

دعاهم صالح دعوة كريمة لطيفة، فقابلت ثمود دعوته بالتشكيك والريبة، وطالبوه ببيّنة تشهد بصدقه.

أجاب صالح طلبهم رغبة منه في إيمانهم، فجاءتهم الآية البيّنة ناقة الله المعجزة، وبيّن لهم صالح أن هذه ناقة الله لكم، ومعجزة تشهد بصدقي عندكم، وحذّرهم من أن يمسّها بسوء أحد منهم!

وقسّم الماء بينهم على يومين: يوم يشربون من ماء بئرهم، ويسقون زروعهم وماشيتهم، واليوم الثاني هو يوم الناقة، وفي يوم الناقة ترد جميع القبيلة على ضرعها، فتشرب لبنًا صافيًا خالصًا، فكانت الناقة معجزة ونعمة لجميع القبيلة بأسرها.

مكثت ثمود هكذا مع الناقة حتى ضجرت منها، فتشاور ملؤهم الخبيث في شأنها، فقرّروا ذبحها!!

وبالفعل تولّى قتلها رئيس القوم، وتمّت الجريمة الشنعاء تحت سمع القبيلة ومرأهم، ورضى منهم بذلك، ومباركة على ذبحها!!

شاهد صالح مصرع الناقة، فامتلأ قلبه حزنًا وألمًا، فتوعّد قومه بقرب نزول العذاب الأليم، وربّما توعّدهم صالح بذلك ليرجعوا عن غيهم وبغيهم، لكنهم – ويا للأسف – لم يكترثوا بالوعيد الذي سمعوه، بل تبجحوا باستعجالهم هذا العذاب الموعود!!

فاستحقت ثمود الهلاك؛ لكفرهم بربّهم، ولعتوّهم عن أمره، واستهزائهم بعذابه.

فعالجهم الله بصيحة مدوِّية من فوقهم، ورجفة مدمّرة من تحتهم، فما أبقت من عين تطرف، إلّا صالح ومن آمن معه.

وهكذا أُغلقت صفحة ثمود الكافرة بعذاب الطاغية من الله للأمّة الفاجرة!

## قائمة المراجع:


١- إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة الصفا، ٢٠٠٢ م.

٢- إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد على الصابوني، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

٣- خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، دار ابن عفان، ١٤٢١ هـ.

٤- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الهيثم،٢٠٠٠م.

٥- عبد الرحمن بن ناصر السعدى، قصص الأنبياء، أضواء السلف، ٢٠٠٢ م.

٦- عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٧- على محمد الصلابي، السيرة النبوية، دار النشر والتوزيع، ٢٠٠١ م.

٨- محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، مكتبة الصحابة، بدون سنة نشر.

٩- محمد على الصابوني، النبوة والأنبياء، بدون دار نشر، بدون سنة نشر.

١٠- محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، بدون سنة نشر.